السنّنُ الإلهيّة وإرتباطها بالأوبئةِ والجوائحِ والبلايا

رياض جواد كاظم
أ. د عامر عمران الخفاجي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل

The divine laws and its association by epidemics, pandemics, and calamities

Riyd Jawad Kadhim
Amer Omran Al – Khafaji
College of Islamic Sciences / University of Babylon
Khafajiamer@gmail.com
Rjwad401@gmail.com

Summary :

Su One of the divine laws is represented and its association in the wisdom of God Almighty in His creation to afflict them with Weal and woe, And the bliss of a people is not a sign of God's approval and love for them only, and if the other is misfortune, it is not a sign of hatred, In both cases, the affliction and our Islamic nation in particular, and the rest of the nations in general today, most of them have been afflicted with much calamity, and because God, Glory be to Him, guarantees the nation that it will not perish at the hands of its enemy or a heavenly calamity, wali'anah aydaan , subhanah waead 'umat al'iislam bialkhayriat walqiadat 'iin hi tamasakat bidiniha , fa'iina hadha albahth yuetaqid 'ana ma bial'umat alyawm min masayiba?, It is a matter of upbringing by trial, with the aim of refining it and returning it to its correctness , and reconsidering it to the laws of God in leadership and empowerment, And one of God's laws in his land and with his creation is that he afflicts them and tests them, and if calamity prevails and intensifies, then it is a warning and warning to people, All people return to the truth and to God's law: And We will make them taste the lesser torment without the greater chastisement,so that they may return."(Al-Sajda:21) The laws of God in human life are the laws of God in the course of human life and His laws in rewarding the obedient and punishing the disobedient according to His eternal decree according to the requirements of His wisdom and justice.

The research on the divine laws is a broad and comprehensive topic, as it is linked, related and represented by all the joints of human life, so it is not far from its attachment that it is represented by the topic of epidemics, pandemics and calamities and its meanings in the Holy Qur'an and has profound effects in human life, The person who is preoccupied with the love of the world, God Almighty afflicts him with different types of trials in order for the servant to return to the remembrance of God and purify himself and work in what is pleasing to God Almighty, and the worship is purely to God, It is believed that what God has afflicted with diseases, epidemics and pandemics to increase his piety to faith, and fertilize the types of divine traditions that help to know the areas of each of weakness , strength, victory and defeat are the reasons for these, the causes of happiness and misery.

Key words: Divine laws, Representing multiple meanings, its association by epidemics, and pandemics.

الملخص :

إن من السنن الإلهية تتمثل فيها حكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه أن يبتليهم بالسراء والضراء، وليس ما بقومٍ من سراءِ علامة رضا وحب من الله لهم فَحسْب،وإن كانت الأخرى الضراء فليست علامة بغض, وفي كلا الحالتين من الابتلاء وأمتنا الإسلامية خاصة وباقي الأمم عامة اليوم أصاب معظمها من الابتلاء بالضراء الكثير،ولأن الله سبحانه تكفل للأمة ألا تفنى على يد عدوها أو بالآفة السماوية،ولأنه أيضاً سبحانه وَعَدَ أمة الإسلام بالخيرية والقيادة إن هي تمسكت بدينها،فإن هذا البحث يعتقد أن ما بالأمة اليوم من مصائب؟ هو من باب التربية بالابتلاء، بغرض صقلها وإرجاعها إلى صوابها، وإعادة اعتبارها لسنن الله في الريادة والتمكين,وإن من سنن الله في أرضه ومع خلقه أنه يبتليهم ويختبرهم,وإذا عَمَّ البلاءواشتد فيكون تحذيرًاوتنبيهًا للناس كل الناس يعودوا للحق ولشرع الله وهذا مايتقارب مع معنى الآية الكريمة:"﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾[السجدة:21]",فالسنن الله في الحياة الانسانية نواميس الله في سير الحياة الانسانية ونواميسه في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله.

أن البحث بالسنن الإلهية موضوع واسع وشامل , فهي ترتبط وتَتعلق وتَتَمَثل بكل مفاصل حياة الإنسان , فلا يبعد قَدر تعلقها يأنها تَتَمَثل بموضوع الأوبئة والجوائح والبلايا ومالها من معاني في القرآن الكريم وله آثار بالغة في حياة الإنسان، فالإنسان الذي ينشغل في حب الدنيا، يبتليه الله سبحانه وتعالى بأنواع مختلفة من الابتلاءات لكي يرجع العبد إلى ذكر الله ويزكي نفسه ويعمل بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وتكون العبادة خالصةً لله، فعلى الإنسان المؤمن أن ينظر نظرة إيجابية إلى الحياة بالإضافة إلى الثقة بالنفس، ويعتقد بأن ما ابتلاه الله يالأمراض من أسقام وأوبئة وبالجوائح ليزداد تقواه إلى الإيمان, وخَسَبِ أنواع السنن الإلهية التي تساعد على معرفة مواطن كل من الضعف والقوة والانتصار والهزيمة أسباب هذه, أسباب السعادة والشقاء.

الكلمات المفتاحية: السنن الإهية، تَتَمَثِلُ بتعدد معانيها, إرتباطها بالأوبئة والجوائح والبلايا.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله العترة الطاهرين وبعد:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بعد خلق السموات والأرض فخلق آدم من طين، والعلاقة بين الإنسان والطين علاقة أزلية، فيموت كل إنسان ثم يعود مرة أخرى للجزاء والحساب، فمنهم من يرتقي للجزاء ومنهم من يعود إلى قاع جهنم، وعِبْرَ السنن الإلهية وقوانينها يتعرض الأنسان لعدة إبتلاءات منها الأوبئة والأمراض والأسقام والجوائح والكوارث من زلازل وحرائق وبراكين وغيرها من قِبلِ الله سبحانه وتعالى منذُ ما خلق آدم وحواء وجعل تطور السلالة من الذكر والانثى وهذا يؤكد الحاجة الماسة الى بناء الأسرة، والأب والأم لهم دور إيجابي في تكوين الأسرة وتسلسل بني ادم من خلال هذه الأسرة ليعيش في مجتمعه بل ومنهم من يتعامل مع مجتمعاتٍ عِدّةٍ كاالتاجر الذي يجوب البلدان, فَضْلًا أصبح العالم كالقرية الصغيرة نتيجة التطور الألكتروني عِبْر شبكات الهواتف النَقالةِ والقنوات الفضائية وشبكات "الأنترنيت",وكل هذا يمر عِبر مراحلِ نشأته حتى مماته,مع إمتلاك الإنسان القدرة على أن يختار الطريق الذي يسلكه لاسيمابعد سِن التكليف,فاختيارالطريق من الأمور المهمة في تحقيق هدف الإنسان، حيث منح الله سبحانه وتعالى للانسان العقل وسخر له مافي الكون، وأنزل أوامره وزواجره وتشريعاته هذا حرام وهذا حلال وهذا واجب وهذا مندوب وهذا مكروه وكل إنسان سوف يحاسب على ذلك , فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان ليكون عبدا لله تعالى وكلما زادت عبادة العبد وخضوعة لله سبحانه وتعالى كلما ارتقى, وتعرض للابتلاءات يريد الله سبحانه وتعالى أن يعرف كيف يتعامل العبد مع هذا الابتلاء وكيف تكون علاقة العبد مع ربه ونفسه , لإن الدنيا

هي دار إمتحان ، وإن الإختبار فيه تمحيص ونقد وتقويم, من خلال الفائدة من تلك السنن الإلهية بأنواعها فهي تتمثل بمايتعرض له الأنسان من إبتلاءاتٍ عدةٍ وعلى هذا المنطلق اقتضت خطة البحث أن توزع في مقدمة ومبحثين, وخُصِصَ المَبْحَثُ الأول لـ(تعريف السنّة الإلهيّة لغةً واصطلاحًا)،وَخُصِصَ المَبْحَثُ الثَّانيُّ: لـ(أنواع معاني السنن في القرآن الكريم).

المبحث الأول: تعريف السنّة الإلهيّة لغةً واصطلاحًا:

أولاً: تعريف السنة الإلهية لغةً:

سنة اسم مأخوذ من الفعل الثلاثي "سن" جمعها "سنن" حيث إن لهذه المادة اللغوية في معاجم اللغة آراء عدة، فقد استعمل بعض العرب هذه المادة بين الحقيقة والمجاز"[1],ولهذا تبع بعضها لبعض من حيث الاستعمال.وقد عرف الراغب الأصفهاني:" سَن : وسَنُ الحديد إسالته وتحديدُهُ ، والمِسَنُ مايُسَنُ به أي يُحَددُ به، والسنان يختص بما يركب في رأس الرمح وسننتُ البعيرَ صقلتهُ وضمرته تشبيهاً بسَنِ الحديد وبإعتبار الإسالة قيل سننت الماء أي أسلته ، وتنَحَ عن سَنَنِ الطريق وسُنَتِهِ وسُنَتِهِ وسِنَتِهِ ، فالسُنَنُ جَمعُ سُنَّةٍ ، وسُنَةُ الوجهِ طريقتُهُ التي كان يتحرَّاها"[2].

كماوقيلَ:"والأصل اللغوي لكلمة سنة،هو جريان الماء،ثم عُمم لإي شيء يجري في إطراد وسهولة ويسر"[3] وتعني أيضاً سن:صقل السيف أو الحجر،وحد السكين، وأكلت الإبل ورعت، وساق الراعي الإبل سوقًا سريعا، وسار الرجل سيرا شديدا، وأحسن الشخص رعاية أمر، وحسن المتكلم منطقه وبين كلامه، وبين الأمر وأوضحه، وصور الصانع شيئا ، وأنبت الله النبات الرجل الماء، وأرسل فلان إبله للرعي، وسار الإمام في الطريقة، وابتدأ الرجل أمرا عمل به قوم بعده, وسن فلانًا طريقا من الخير يسنه: إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه، فاستنسوا به وسلكوه"[4].فيتضح أن معنى السنة في اللغة هي الطريقة والخطة المتبعة ولا تخرج عن هذه المعاني الا بقرينة .

ومن المعاني السابقة، يتضح إنها "السنة" تدل على العناية والتحسين عند الصقل والرعي والسوق والسير وكذلك الحسن والسهولة في الجريان والكلام والصنع والصب والإرسال والسير في الطريقة ، فبدون رعاية وتحسين لن تسير هذه الأفعال باطراد وسهولة. كما أن إنبات الله النبات أكثر وضوحا في كونه جاريا على قمة العناية والتحسين،لذلك يتبدى لنا اطراده هيناً سهلا،ولو تكفل به غيره سبحانه لماكان كذلك أبدا.وعلى هذا المعنى يطلق بعض اللغويين مصدر السنة على الوجه والصورة وعلى الطبيعة"[5],لما فيها من بروز عناية الله وتحسينه لخلقه,أما المعنى الآخر للسنة فهوالطريقة,فالسنة في اللغة الطريقة أوالسيرة حسنة كانت أوقبيحة"[6]، وبعضهم يخصها" بالطريقة المستقيمة المحمودة المرضية المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب"[7], وهذا التعريف يتجه بالسنة إلى "معناها الاصطلاحي في الشرع أي سنة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولذلك نلاحظ أن المعاني اللغوية للسنة الإلهية لا تخرج عن الدلالات الشرعية لكلمة سنة"[8]، لذا عرفها صاحب تاج العروس في اللغة:"هي الطريقة المتبعة،والسيرة المستمرة ،سواء كانت حسنة أو جيدة"[8]، وقد أُسْتُخْدِمَتْ بهذا المعنى في القرآن والسنة،قال تعالى:"﴿سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلًا﴾ [الاسراء:77]".فالسنة:هي الطريقة والعادة المتبعة، والطريقة المبتدأة ، حسنة كانت او سيئة ، ولكن اكد علماء اللغة اتفقوا على:"ان كلمة"السنة" إذا اطلقت انصرفت إلى الطريقة أو السيرة الحسنة فقط، ولاتستعمل السيئة الا مقيدة"[9], فَتُعَرَّفُ بأنها: " ما واظب عليه مقتدى: نبيا كان أو وليًا"[10], أو" إبتداء أَمْرٌ ليقتدي فيه به، أو العمل بقصد اقتداء الغير به"[11]. وكذلك ما نلحظه في التعاريف اللغوية أعلاه يتضح هناك تقارب وميل نحو المعنى الإصطلاحي وبنظرة تحليلية للجهود اللغوية في تعريف السنة، "فقد أسس تأسيسا وتركيزا لغويا وشرعيا منضبطاً لدى ابن منظور"[12], بالرغم من تضييقه المعنى،

الذي وسعه الفيروز الآبادي ليشمل الجانب الطبيعي الكوني، وهو يستخدم لفظ "النهج" وهي إضافة هامة لمعنى السنة"[13], ليصير أكثر انضباطًا.

أما الراغب فيجمع بين البعدين الشرعي والكوني في السنة فيقول:"ان السنة هي طريقة حكمته وطاعته"[14].

ويفهم من التعاريف أعلاه ان من المعاني البارزة للسنة الإلهية هي المشيئة الإلهية وحكمته وطاعته ولو أُخِذت كلمة المشيئة فقد عُرِفَتْ بمعنى يتعلق بالشائي, وهي صفة كمالية قديمة هي نفس ذاته سبحانه بحيث يختار ماهو الخير والصلاح والآخر يتعلق بالمُشيءِ:" وهو حادث بحدوث المخلوقات لا يتخلف المخلوقات عنه وهو ايجاد سبحانه إياها بحسب اختياره وهي ليست صفة زائدة على ذاته عز وجل وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها المنتسبين معًا"[15]. لذا قال الصادق"عليه السلام":"(لا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بخصال سبع بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء و أذن وكتاب و أجل)"[16].

وقال الإمام علي"عليه السلام"في احد خطبه:"(والله لم يجهل ولم يتعلم،أحاط بالاشياء علماً قبل كونها فلم يزدد بكونها علمًا، علمه بها قبل ان يكونها، كعلمه بها بعد تكوينها،لم يكونها بتجديد سلطان ولا خوفاً من زوال ولا نقصان، ولا استعانة على ضد منافر ولا ندٍ مكاثر ولا شريك مكابر بَلْ خَلائِقٌ مَرْبُوبُون وَعِبادٌ دَاخرونَ إِلّا تِبْيَانًا لِحِكْمَتِهِ وَتَنبيهًا على طَاعَتِهِ وَإِظهارًا لِقُدرتِهِ وَتَعبدًا لِبَريتِهِ وإعزازًا لِدعوته)"[17],وتتضح المشيئة الالهية منذ أول خلق الله تعالى فعن محمد بن سنان:كنت عند ابي جعفر الثاني"عليه السلام" فأجريت اختلاف الشيعة فقال: "(يا محمد ان الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق محمد وعلي وفاطمة عليهم الصلاة والسلام فمكثوا الف دهر ثم خلق جميع الاشياء فأشهدهم خلقها واجرى طاعتهم عليها وفوض امورها اليهم فهم يحلون مايشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا ان يشاء الله تبارك وتعالى ثم قال : يامحمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محق ومن لزمها لحق خذها اليك يا محمد)"[18].أما عن طاعته فهي متأتية من مصداق قوله تعالى:"﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات – 56]" ففي تفسير القمي قال:"خلقهم للأمر والنهي والتكليف وليست خلقة جبر أن يعبدوه ولكن خلقت إختيار ليختبره بالأمر والنهي ومن يطيع الله ومن يعصي[19].

ومما تقدم نجد أن أهل بيت النبوة صلوات ربي عليهم أجمعين هم أكثر المعصومين عليهم السلام من جَسَّدَ المِصداق الواقعي الحقيقي فقد كانوا الإسوة الحَسِنة لطاعة الله والخضوع لمشيئةِ الله وحكمته .

ثانياً: تعريف السنّة الإلهية اصطلاحًا:

عند النظر لآراء المختصين يوجد اختلاف في تعريف السنة بالمعنى الإصطلاحي للوَهلةِ الأولى ولكن عند التَمعن بالمعنى وحسب الجهة المنظور منها ان كانت عقائدية او فلسفية أوتأريخية أو تشريعية أو كونية أو حتى على إعتبار مدى قُربها من المعنى اللُّغوي يوجد ترابط لاسِيما من تَرسِيخ وإضفاء تِلكَ المَعاني المُتأتِية مِن الأبعاد والمَفاهيم المُتَعَلِقة بلفظ "الإلهية" فتكون السُنة الإلهية في الإستعمال اللغوي :"هي الطُرق والسير والأحكام الإلهية الجارية المُطَّردة في الكَونِ والبَشر، أما قَبل إضافة معنى "الإلهية" للسنة فإنه البَعضُ يُصَرِح بالمعنى التَشريعي للسُنة فَيقول : "هي ما أمر به النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وصى عنه وندب إليه قولًا وفعلًا مما لَم يَنطِق به الكتاب العَزيز "[20] , فَقَدْ رَبط فَخر الدين الرازي ومن قال بقوله بين المعنى اللغوي للسنة الإلهية وبين أصل المعنى الشَرعي للسُنة النَبوية وقال:"فليس عليه جريان السِلوك من مُقتدى كان نبياً أو وليًا"[21]،والبعض يَعرِفُها من الباب الفِقهي: "هي ما في فعله ثواب وفي تركه عِتاب ولا عِقاب"[22]، يبقى المعنى اللغوي مقارباً بالسنة أكثر لِمعناها الشرعي القاصر، ولكن عند الأضافة للفظة "الإلهية" سيثبت عدة معاني مترابطة فمثلاً : الراغب الأصفهاني فجمع

بين البعد الشرعي والكوني في السنة فيقول أن السنة هي طريقة حِكمته وطاعَته[23]، فيتضح تلخيص للمعنى اللغوي للسنة أوالسنن " فهي الطرائق المُطَّرِدة والسِّير المُتَبِعة والأحكام المطردة في الكون والبشر.

لذا فقد كرر السيد محمد رشيد رضا هذا المعنى اصطلاحا ليدل على معنى السنة الإلهية بمعناها الرباني ومنها " النظام الإلهي : وهو الأقدار التي يقوم عليها هذا النظام في الكون أي أوامر الله التكوينية الجارية في الكون أحكام الله الفعلية الجارية في الخلق، وهي القسيم المقابل لأحكام الله التكليفية المودعة ويؤكده في الكتاب والسنة [24]، وهذا التوظيف الرباني أكده السيد "تطرح السنن من هذا المنظور على إنها قرار إلهي،ويضيف : كل قانون من قوانين التاريخ هوكلمة الله سبحانه وهوقرار رباني"[25] ،ويفهم من قول السيد محمد باقر الصدر شمول عموم القوانين على مَدى التاريخ وكذا الرأي القائل:"هي تلك القوانين التي تجري على الناس جميعاً دون إستثناء مؤمنين وغير مؤمنين"[26], لذا عَدَّ الشاطبي الذي قسم العلوم التي يحتاجها المُفسر إلى أربعة أقسام:"

1– قسم هو كالأداة لفهم القرآن ويشمل العربية والقِراءات والناسخ والمنسوخ وقواعد أصول الفقه.

2– قسم مأخوذ من جملته من حيث هو كلام، ويشير به إلى النظم القرآني ومقاصده وإعجازه وهِدايته العامة.

3– قسم مأخوذمن عادةالله تعالى في إنزاله وخطاب الخلق به،ويشيرفيه لأساليب القرآن ومنهجه وسنن الله فيه.

4–قسم هو المقصود الأول بالذكر،ويقصد به أُمهات العلوم الشرعي:التوحيد والعبادة وأحوال الآخرة"[27].

وقد صرح الشاطبي أنه استفاد من حصر الغزالي للعلوم، لكنه أبدع في تقسيمه أكثر من الغزالي الذي ركز فيما يحتاجه المفسر على غزارة العلم وصفاء القلب وتوفر دواعي التدبر والتجرد في الطلب التأمل في سنن الله وَذَكَرَها في عالم"المواهب التأويلية"تحكمه قوانين وسنن غير متكشفة لنا بالشكل الدقيق الكافي لتفصيلها، ومن هنا يظهر الفارق المعرفي والمنهجي والتأثيري بين التفاسير والمفسرين"[28].

فتعريف السنن من هذا المدخل يركز على الجانب الموضوعي والدراسة العلمية ليقوم بفهمها وتفسيرها واكتشافها للسنن الإلهية المتاحة فِطريا لكل إنسان مهما كان دينه وتسخيرها،ويتقوى الإنسان بذلك ويتمكن بمقدار ما يُسخر السنن,"والسنة في الشريعة هي الطريقة المَسلوكة في الدين من غير إفتراض ولا وجوب"[29].

وعندالرجوع للآيات القرآنية نجد أن لفظ"سنة"ورد بصيغة الجمع"سنن"في آيتين بقوله تعالى:"﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾[النساء:26]،﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[آل.عمران:137]"،فيتضح أنها مجموعة طرق قدرها الله لعباده.

المبحث الثاني: أنواع معاني السنن في القرآن الكريم:

أولًا: السنّة بمعنى القانون:

وقدعرف"السنن" محمد الصادق عرجون بأنها: "مجموع القوانين التي يسيروفقها الكون التي يستفيد منها الكائن[30] ،أما محمد باقر فيعرف السنن التاريخية قائلاً : "هي القوانين التي تتحكم في مسيرة التاريخ وفي حركته وتطوره " [31]، ويُستخلص من التعريفين : أن القوانين هي التي تتحكم في الوجود، كما ويتبين أوجه تعريف ظهر بالبحث ليوسف كمال: "السنة هي قانون الله الذي يُسلِّم له الكون طوعاً وكرهاً ويذعن له كل شيء رضي ام لم يرضى،من أكبر سيارة في السماء الى اصغر ذرة في الإنسان"[32]، لأنه شَمِلَ المعاني المذكورة أعلاه ليَنطبِق على مفاهيم العنوان ومنهم من أعاد ربط القوانين بالمشيئة والحكمة فقال:"هي تلك القوانين التي لا حيلة للفكر منفردا أو مجتمعاً مع حركة الإنسان في تغييرها أو منع اضطهادها[33].

وهناك تعريف ل"السنن"في تفسيرالمراغي:"طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضتها الحكمة والمصلحة"[34] وآخر قال:السنن الالهية هي قوانين الله"عز وجل"التي أقام عليها بمشيئته النافذة،وحكمته البالغة نظام الكون والإنسان

والمجتمع والحضارة،وهذه القوانين تتصف بالعموم والنبات والاطراد[35]. وهذا ما أشار إليه السيد قطب في تقسيماته إلى أن تقدم فهم علمي شامل بالقوانين التي تحكم الأحداث في الواقع الإجتماعي، قال الأستاذ أبو الأعلى المودودي : "وأهم شيء وأجدره في هذا الصدد أنّ الإيمان بلا إله إلا الله ،يجعل الإنسان مقيداً بقانون الله ومحافظاً عليه، فإن المؤمن يكون على يقين بسبب اعتقاده بهذه الكلمة أن الله خبيراً بكل شيء، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه إن أتى بعمل في ظلمة الليل أوحالة الوحدة فإن الله يعلمه، وأنه إن خطر بباله شيء غير جميل فإن علم الله محيط به، وأنه إن كان من الممكن له أن يخفي أعماله عن كل واحد في الدنيا، فإنه لايستطيع إخفاءهاعلى الله "عزّوجل"، وأنه إن كان يستطيع أن يفلت من بطش أي كان،فإنه لايستطيع أن يفلت من الله"عزّوجلّ"،فعلى قدرمايكون هذا الإيمان راسخًا في ذهن الإنسان يكون متبعاً لأحكام الله قائماً عند حدوده لا يجرؤ على اقتراف ما حرّم الله، ويسارع إلى الخيرات والعمل بما أمر الله ولو في ظلمة الليل أو حال الوحدة والخلوة، فإن معه شرطة لا تفارقه حيناً من أحيانه، وهو يتمثل دائماً أمام عينه تلك المحكمة العليا التي لا يكاد الإنسان ينفذ من دائرة حسابها"[36].

ثانيًا: السنة بمعنى النواميس:

فقد عرفها سيد قطب"ت1966م" :"السنن هي النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة"[37].

وعَدَّ سنة النواميس محمدباقرالصدر"ت1980م"أنها من ضِمنِ السنن التاريخية وقال: "السنن التاريخية هي تلك الضوابط والقوانين والنواميس التي تتحكم في عملية التاريخ"[38]،

وقال أحد الأساتيذ :"السنة هي الناموس الأزلي الذي وضعه الله"عزوجل" للكون"[39].

وقد جُمِعَتْ التعاريف اعلاه بقول : "سنن الله في الحياة الإنسانية نواميس الله في سير الحياة الإنسانية ونواميسه في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله"[40].

ويتضح مما تقدم أيضاً ربط معنى السنة الإلهية بالنواميس والمشيئة والحكمة الإلهية والطاعة له سبحانه.

وتأتي السنة الإلهية بمعنى النظام، بترادف جزئي مع سنة النواميس، وهي:

إن معنى النظام وظفه بعض المعرفين ومنهم رمضان خميس زكي وقال :" السنن النظام الإلهي العام الذي يحكم سلوك البشر في انضباط واطراد"[41].

بينما هناك من عرف السنن الإلهية : "هي النظام الإلهي العام العام ، الذي يخضع له الخلق أفرادا وجماعات[42], ولايمكن مما تقدم أن نفهم مداليل السنة الإلهية إلا من خلال سياق القوانين الإلهية التي تحكم نظام العالم ويبرز عدة معاني منها :

أ–سنن الضوابط:

ومن معانيهاالضوابط:"هي الضوابط التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتنظيم ظواهر الكون"[43]،:وقيل عنها:"هي الضوابط التي تمسك الكون في نظام ليكون كما أراد الله"[44].

ب–السنن القواعد:

قال رشيد رضا : "أي ان امر البشر في اجتماعهم...قد جرى على طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام"[45], وكما عُرفت: "السنن مفهوم شامل لكل قاعدة أو منهاج ملازم لأي كائن من الكائنات"[46], ولذاعرفها احمد مصطفى في تفسير المراغي:"طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضتها الحكمة والمصلحة"[47].

ج-السنن المشروطة:

يترابط فيهاالشرط والجزاء في اطار حادثتين،فيتحقق الجزاء كنتيجة محتومةلتحقق الشرط كمافي قوله تعالى :"﴿إن الله تعالى لايغير مابقوم حتى يغيروامابأنفسهم﴾[الرعد:11]"والسنة الشرطية مرتبطة بإرادة الإنسان وفعله

وهناك من قال:السنن هي الاصول التي تجري وفقها الأمور"[48]،وقيل:"هي القوى المودعة في العالم"[49].

رابعًا: سنن التدافع:

وعُبّر عن معنى الدفع بقول :"الدفع الإزالة بقوة، يقال دفعة دفعاًودفاعاً، ودافع عنه بمعنى دفع، ونقول: دفع الله عنك المكروه دفعاً و دفاعاً، ودافع الله عنك السوء دفاعاً وتدافع القوم: دفع بعضهم دفعاً، والمدافعة: المزاحمة، والاندفاع المضي في الأمر"[50].

ودفع القول:"رده بالحجة،ودفع فلاناًإلى كذا:اضطره،دافع عنه مدافعة ودفاعاً،حامى عنه وانتصرله، ودافعه زاحمه,ويقال:هو سيد قومه غيرمدافع:أي غير مزاحم، وتداع القوم: دفع بعضهم بعضاً، وهذا الذي عناه النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بقوله لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"[51].

وسنة التدافع، وهي سنة مأخوذة من قوله تعالى:﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾ [البقرة:251].

وهذا التعبير القرآني يبين حقيقة علو القرآن على التفاسير التي خطها البشر، فهو لم يَحْصُرْ هذا في القتال أو النزاع والخصام كما ورد في بعض التفاسير عُبِرَّ بالتدافع ليشمل كل أنواع التعاون والاختلاف بل والصراع والصدام للوصول بكل وسيلة إلى الاستقرار وتحقيق مراد الله من خلقه : عبادة، وعمارة ،وتزكية. وبدأت بالفعل تلك المعركة منذ اللحظات الأولى في حياته،واستمرت على أشدها معه ثم مع ذريته،وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها, معركة بين معسكرين لايجتمعان، الأول: معسكر الإيمان، وجنوده الأنبياء من آدم ﷺ ثم ذريته من المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون, والمعسكر الآخر: معسكر الكفر، يقوده إبليس ومعه ذريته، ومن تبعه وأضله من البشر, تدافعاً مستمراً بين الإيمان والكفر في صور متعددة وأشكال متنوعة، منها الباطن ومنها الظاهر، منها المباشر ومنها غير المباشر، ولقد سجل القرآن الكريم في آيات كثيرة منه التدافع بين الإيمان والكفر، وأخذ ذلك مساحة كبيرة منه، وبخاصة في عرض قصص الأنبياء وأتباعهم مع أعدائهم، بل يقرر القرآن استمرار هذا النوع من التدافع،وأنه لا يزال ما بقي إيمان وكفر وحق وباطل، فذكر صاحب تفسير المنارهذا المعنى التدافعي وينقل حال المشركين وتفسيرقوله تعالى للآية:217 من سورة البقرة:"﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ(٢١٦)يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢١٧)إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢١٨)﴾فيقول "فأَعْلَمَهُمْ أَنَّ أُولئِكَ المُشْرِكِينَ لا هَمَّ لَهُمْ إلّا منع الإسلام من الأرض، فترك قتالهم هو الذي يبيد الحق وأهله، وانتظار إيمانهم بمجرد الدعوة، طمع في غير مطمع، والقتال في الشهر الحرام أهون من الفتنة عن الإسلام، لو لم يحتف بها غيرها من الآثام، كيف وقد قارنها الصد عن سبيل الله والكفر به، والصد عن المسجد الحرام، وإخراج أهله منه، والاعتداء بالقتال والاستمرار عليه... وهكذا كان وهكذا يكون، فلا يزال الكفار يقاتلوننا ليردونا عن ديننا إن استطاعوا"[52]،

والتاريخ خير شاهد بوقوف هاتين الأمتين"اليهود والنصارى" في وجه أهل الإسلام، تتنوع وسائل قتالهم ومدافعتهم للمسلمين ولا تتغير مقاصدهم وأغراضهم،وكلما انكسر في أيديهم سلاح انتضوا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا غيرها(53).

فالتدافع سنة إلهية تبين أن الإنسان قد خلقه الله سبحانه وتعالى اجتماعيًا يحتاج إلى الآخرين، وهم يحتاجون إليه، فلم يخلقه منعزلا قادرا على البقاء وحده حتى يحقق مراد الله من خلقه، بل إنه لابد أن يعمل في فريق ليصل إلى هدفه، وعمله في الفريق وحراكه الاجتماعي ونشاطه الذاتي يحتاج إلى إدراك سنة التدافع، وإدراك هذه السنة يتولد منها قوانين كثيرة لضبط هذا النشاط والحراك، وعليه فإن عمليةً فكريةً لابد أن تسبق النشاط، وهو ما قد يكون الإنسان العصري قد افتقده حيث سبق النشاط الفكر، وكان ينبغي أن يسبق الفكر النشاط ويسبق حديث القلب أيضا الفكر ولهذا موضع آخر يشرح الفرق بين الآمرين. والتدافع بين الخير والشر سنة إلهية دائمة مستمرة لا تتوقف ما بقي على وجه الأرض عاقل يدعوا إلى ما ينفع، و سفيه يدعوا إلى ما يضر، لذا فإن الدعوة إلى ما ينفع والبعد عما يضر ليس بالضرورة أن تنطلق من خلفية دينية، بل ربما يكون المحرك لها والدافع إليها تحكيم العقل في اختيار الأصلح، والوقوف على نتائج الشر وآثاره.

وتكون سنة التدافع بمدافعة أهل الخير وجند الله، لأهل الشر والإفساد في الأرض؛ وذلك لتحقيق الصلاح والاستقرار على الأرض، فقد أوضح ربنا سبحانه وتعالى أن من آثار هذه السنة الإلهية منع الفساد في الأرض ﴿...وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ...﴾[البقرة:251]"وأوضح سبحانه أن هذا التدافع الذي جعله الله تعالى بين جنده القائمين بالصلاح والإصلاح وإعمار الأرض، وبين أعدائه الفاسدين المفسدين القائمين بتخريب الأرض من أعظم نعم الله على البشرية، إذ لو تُرك الفاسد يشيع الفساد في الأرض ويستضعف الصالحين، وهم لا قوة لهم لتهدمت كل القيم وكل الأشياء الجميلة في هذا الكون، حتى أماكن عبادة الله سبحانه وتعالى، كما أخبر الحق تعالى بذلك فقال:"﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:40]",وسنة التدافع ليست أمرًا شرعيًا بقدر ما هي حالة تحدث لتطهير الأرض ونقاءها، فإن الله لا يبقي الخبيث يقود ويسود حياة الناس أبدًا، حتى وإن مكنه من ذلك قليلاً، قال تعالى:"﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[الرعد:17]",فإن حق قيادة الناس يكون دائمًا للأصلح الذي يحقق الخير والنماء والرخاء لهم، بمايحقق حضارة الإنسان،التي تعلو فيها القيم الأخلاقية على الشهوات،ولذا كتب الله سبحانه وتعالى ذلك في الرسالات السابقة قبل القرآن،قال تعالى:"﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ*إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ*وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:105-107]".

معنى التدافع لغةً:"دفع الشيء إذا نحاه وأزاله بقوة،وفي القرآن الكريم:"﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:251]"،فيتضح إن الله يريد لعباده الرشاد وحسن التعبد، فما جعل الخير والشر إلا للتدافع وفق سننه في الوجود، ليهتدي من اهتدى عن بينة ويضل من ضل عن بينة،"فإن لله سننًا ثابتة مستقرة في جميع الأحوال والظروف إذا توافرت أسبابها وتحققت نتائجها"(54).

رابعًا: سنة الإصلاح والتغيير:

لقد عَمِدَ القرآن الكريم الى ترسيخ سنة الإصلاح في المجتمع وإرسال الأنبياء والأولياء والمعصومين"عليهم السلام" لجميع البشرية، فقد بين الإسلام مبنى العلاقة الصحيحة بالآخرين متجليًا في قول الإمام علي"عليه السلام" في حديثه عن الناس بتصنيفهم : "(إما أخ لك في الدين،وإما نظير لك في الخلق)"[55].

ولإن الإصلاح عنوان الرسالات الإلهية ومضمون غاياتها،لأن الرسل والأنبياء"عليهم السلام"إنما بعثوا لإصلاح المجتمع سواء كان ذلك على مستوى الأيمان والاعتقاد،أم على مستوى السلوك والعمل فالهدف الإلهي العام هو في قوله تعالى:"﴿قال ياقومي أَرأَيتم إن كنت على بينةٍ من ربي ورزقني منه رِزقاً حسناً وماأُريد أن أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما أستطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب﴾[هود :88]"،ولا فرق إن قالها شعيب أم غيره من الأنبياء والرسل والعترة المعصومين"صلى الله عليهم أجمعين"ومن سار على نهجهم وأهتدى بهديهم، ولذا فقد قال من كتب بموضوع السنن :" غائية السنن تقتضي أن عملها هادف ينتهي بنا إلى غاية صالحة أو طالحة، يسير بخطوات واعية نحو المستقبل منطبع بنوعية العقل"[56].

وقد علقَ على هذه العبارة أحد الباحثين وقال:" ولا إشكال في وصف الأستاذ الكفيشي للغايات بصالحة وطالحة، فوصف الصلاح والطلاح متعلق بالإنسان الطابع للسنن بنوعية وجهته ونيته ورغبته الواعية لمآل كل مسار وعاقبته، وهذا مايُفْهَمُ من قوله إن السنن واعية ومنطبعة بنوعية العقل أما السنن الإلهية في أصلها فتقود للصلاح والفلاح في الدنياوالأخرى إذ الدنيا والأخرى إذا أُلْتُزِمَ بها وأُحْسِنَ كَشْفَها وَتَسْخِيرَهَا"()، لذلك ترى الإسلام كثيرًا ماعنى بإصلاح المجتمع ، بل أهم ما يبتغيه والهداية والتعليم وإصلاح القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية لذلك لم يترك الإسلام نظام المجتمع وشؤونه المختلفة ليكون دينا شخصيا بين الإنسان وربه ، إنما عَمِدَ الى وضع الأسس القويمة للنظام الديني العادل ، والمجتمع الصالح ،وسن التشريعات اللازمة لذلك ، فَحَرَّمَ كل فاسد وسيئ ومضر،وأوجد كل ما يصلح المجتمع ويسعد الناس ، فَأَرَادَتْ الهداية والإصلاح على مستوى ذات الإنسان وسلوكه الخارجي في حياته الفردية والاجتماعية لتشكل منظومة رائعة ومتكاملة، لذا نرى أن المعصومين"عليهم السلام" إنهم عِدلُ القرآن في الهداية والإصلاح وكل منهم عمل وفق ماتقتضيه المصلحةوالظروف الزمانيةوالمكانية في مواجهةالواقع الفاسدوالمنحرف,وإصلاحه على نحوالخطابات والتطبيقات وإن أصدق دعوة للأصلاح الحقيقي بدأقولًاوفعلًاللحسين"عليه السلام":"ألا واني لم أخرج بطرًا ولا أَشِرًا وَلَامُفسدًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وشيعة أبي علي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)"[57].

فالحديث عن الإصلاح والتغيير ربما يثير حفيظة كل من يتعامل مع القديم على أنه مقدس بذاته لا يجوز مساسه بحال بل وحتى الاقتراب منه بأي نحو من الأنحاء! ولعل حالة التقديس هذه تعود إلى الانسجام والتآلف وربما تشابك المصالح مع القديم، والوحشة والتخوف من الجديد ومما ينتج عن عملية التجديد والتغيير والإصلاح، بَيْدَ أن هذه النظرة تجانب الصواب وتبتعد عن الواقع فالمتأمل في آفاق الكون يلاحظ وبوضوح أن التغيير والتجديد والإصلاح سنة كونية، فجسم الإنسان يحتاج إلى التجديد وإصلاح ما فسد منه ولذلك زوده الله بالإضافة إلى استبدال الخلايا بمجموعة من الأجهزة في داخله تعمل على الإصلاح والتجديد والتطوير المستمر، والبحر هو الآخر نرى أن عملية المد والجزر وتلاطم الأمواج في داخله تعمل هي الأخرى على الإصلاح ولولا ذاك لأصبح ماء البحر مستنقعاً آسناً، وهكذا تكون عملية الإصلاح سنة تتجلى في كل ما في هذا الكون الرحب, والأمة ليست بعيدة عن هذه السنة الكونية بل هي هدف لها، ولذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ليقوموا بهذه العملية ويتحملوا أعباءها على مر التاريخ.

مرتكزات سُنَّة الإصلاحِ والتغيير:

ما من مجتمع من المجتمعات إلا ويختزن في داخله مجموعة من التجارب والقيم والعادات والتقاليد، ونحن كمجتمعات متدينة يرتكز الإختزان فيها على الدين إجمالا، فالبعض منها من صميم الدين القرآن وهو مجموع ما بين الدفتين، والسنة وهو قول النبي وفعله وتقريره صلوات الله عليه، وقول الأئمة وفعلهم وتقريراتهم صلوات الله عليهم أجمعين والبعض الآخر لا يصطدم مع الدين وإنما يتحرك في مساحة المباح.

وهذا الأمر خارج عن دائرة التغيير، والمراهنة على إحداث تغيير في الأول ضرب من الخيال وفي الثاني يزيد الناس تشبثا بها وقد يبالغ المجتمع فيتعامل معها على أنها جزءًا من الدين، وهذا خطأ محض من كلا الجانبين. "ومن هنا يمكن استثمار السنن الإلهية كدافع حركي يفرض على الجماعة البشرية أن تتجاوزمواقع الخطأ التي قادت الجماعات السابقة إلى الدمار، وأن تحسن التعامل مع الكون والطبيعة،مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه"[58].

فيتبين وجود:"دلالة على أهمية علم التاريخ،لأن فيه فائدة السير في الأرض،وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها"[59], ومن أجل الإنسان ينبغي إرتكاز الإصلاح على أسس الدينية عِدّةٍ منها:

أولًا : الأسس الدينية، فينبغي أن يكون الدين هو المحور والأساس في أي عملية تغييرية وإلا فإنها ستصطدم بالمجتمع، وذلك لأن المجتمع المؤمن بالإسلام دينيًا يتطلع إلى المزيد من تطبيق قيم الإسلام في واقعه، ويعتبر الابتعاد عنها انحرافًا يجب الوقوف أمامه، وأكيدًا لايجوز السكوت عليه، بل يجب أن تعتمد على إرتكازات دينية حقة.

ثانيًا : من أجل الإنسان، فكثير من العمليات التغييرية التي تجري في عالم اليوم لا تهدف اسعاد الإنسان ورفع العناء والمشقة عنه وإنما تهدف فيما تهدف إلى التسلط على ثروات وخيرات الإنسان وعقله وإنسانيته، فالتغيير الذي حدث في العراق من قبل الولايات المتحدة لم يأت من أجل الإنسان العراقي أو حتى إنسان الدول المحيطة بالعراق، كيف وقد مدوا طاغية العصربالعدة والعتاد وشاركوه في كل جرائمه؟عليه وعليهم لعائن الله إلى أبد الآبدين،فالهدف من ذلك واضح وبين،وهو مزيد من التسلط والتمكن من سرقة ونهب ثروات بلاد المسلمين،وهذا العامل نابع من تسخير كل شيء للإنسان وهذا أيضًا لاينفك عن الدين،فالسنن لا تقصد الإنسان بإعاقة أو إلزام، بل هي مسخرة له،وهو وإيمانه وعلمه وحكمته وعمله: فإن أحسن توظيفها واستعمالها كان من قوتها إضافة لقوته،وإن عاندها كان من قوتها خصما من قوته"[60],وتسخيرها واجب،وتلك مسؤولية الإنسان فردا ومجتمعًا,وحكمها في التاريخ أشبه بالجزاء الذي هو جنس العمل.

ومنَ المؤكّد لا نشكّك في صعوبة وتعقيد الكشف والتسخير للسنن الإنسانية، لكون الإنسان هو أداة التحليل ومحله مما يشكّل صعوبة، خلافا للسنن الكونية, لكن هذا لا يعني العبثية والعشوائية وعدم الانضباط وما هذا التكرار إلا للحث على كشف السنن وتحريض الإنسان للبحث عنها ومحاولة تسخيرها، وباستمرار البحث والمحاولة يضفي الإنسان على حياته مسحة من التغيير المستمر ممايُجَّمِلُ الحياةَ ويَمْلَؤُها بهجة، فيحقق بذلك سعادة الدنيا والآخرة عبر التوافق مع السنن الإلهية.

الخاتمة :

إن القرآن الكريم بحر زاخر بالمعارف، يغدق على كل من يرتشف من بحر كرم علومه وأنواع خيراته المادية والمعنوية وبكل المجالات وبقدر طاقاتهم،وينهل منه العطشى قدرمايروي ظمأهم،تاهت في ثناياه القلوب،وحارت في كنهه الألباب,فلا يحيط بحدوده،ولايصل إلى مستقر أعماقه أحدٌ,لكن المؤكد أن من يغوص في معانيه وأساليبه، ويفتش في حكمه وأحكامه،ولايعود إلا وهو منتفع من فيض عطائه النوراني، ومكتنزٌ من ثَمينِ جواهره,فكل إنسان يتعرض إلى أنواع كثيرة من الإبتلاءات, فتظهر عدّة نتائج منها مايأتي :

أولًا:إن السنن الإلهية تتجلى في كل ما في هذا الكون الرحب, والأمة ليست بعيدة عنها هذه السنن الإلهية الكونية بل هي هدف لها، ولذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ليقوموا بهذه العملية ويتحملوا أعباءها على مر التاريخ,عِبْرَالإبتلاءات لِأجل تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى وتكون متمثلة بالاخلاص لله تعالى،والعبد يتوكل على الله في كل أم من الإمور،لأن التوكل على الله سبحانه وتعالى يُنجح العبد إيجابيًا في الدنيا والآخرة.

ثانيًا:السنن التاريخية في الابتلاء هو تزكية للنفوس بحيث يتطهر من الأهواء والملذات فإن الرجوع الى الله سبحانه وتعالى يتحقق بتزكية النفس,وهذه غاية بعثة الأنبياء والرسل والصالحين صلوات ربي عليهم أجمعين. ثالثًا:إن الله يريد لعباده الرشاد وحسن التعبد،فماجعل الخير والشرإلا للتدافع وفق سننه في الوجود،ليهتدي من اهتدى عن بينة ويضل من ضل عن بينة,فإن لله سننًا ثابتة مستقرة في جميع الأحوال والظروف إذا توافرت أسبابها عِبْرَ الإبتلاءات منها الأمراض والأسقام بالأوبئة وبالجوائح كالوارث والآفات وغيرها,وتحقيق النتائج الإلهية ليهتدي من شاء بعد أن شاء الله له الهداية والخيرالصلاح بسنن الإصلاح والتغيير,أما من يُضل فعليها بعد أن أعطى له كل انواع السنن الإلهية ولم يَعْتَبر بها بل مشى وراء الشيطان وهوى النفس وحب الدنيا من لذات وشهوات وغيرها .

رابعًا:عندما أُخلدوا بني آدم إلى الأرض،فأكثروا فيها الفساد، فأنزله الله من السماء ليُصلِح به الأرض، وليدلَّ أهلها المستخلَفين عليها من بني آدم على الطريق الواصلة بالله، ويُجدِّد ما رثَّ من علائقهم به,وما أشدَّ شَبَهَ الإنسانية اليوم بالإنسانية قبيل نزول القرآن في جفافِ العواطف،وضراوة الغرائز ،وتحكُّم الأهواء، والتباس السبل، وتحكيم القوَّة،وتغوُّل الوثنية المالية!ومأحوج الإنسانيةَ اليوم إلى القرآن،وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال وقد عجزالعقل عن هدايتِها وحدَه،كما عجز قديمًا عن هدايتها لولاتأييدُ الله له بالأمداد السماوية من الوحي الذي يُقوِّي ضعفه إذا أدركه الوهن،ويصلح خطاه إذا اختل ميزانه,وكل هذا وذاك جعل للناس سنن إلهية متعددة ليبين لهم حكمته ومشيئته وقوانينه وغايات تلك السنن الإلهية بأنواعها وترابطها مع ما يتعرض من إبتلاءاتٍ شتى. خامسًا: فقد أتى القرآنُ لأولِ نزوله بالعجائب والمعجزات في إصلاح البشرومازال، فإنه حقيقٌ بأن يأتي بتلك المعجزات في كل زمان،إذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي فهِمته، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشَرته وعمَّمته،فإن القرآن لايأتي بمعجزاته ولا يُؤتِي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولَّته بالفهم عقولٌ كعقول المعصومين"عليهم السلام"،وتولته بالتطبيق العملي نفوسٌ سامية, لذا فالمُتَعَقِّل بإنتظار المُخَلِّصَ"عليه السلام".

الهوامش:

(1) استعمل العرب لكلمة سنن يتراوح بين الحقيقة والمجاز، فابن فارس يستعملها بمعناها الحقيقي، والزمخشري يعدهامجازا،ينظر:الزمخشري: أساس البلاغة،دار الكتب العلمية بيروت، ط 1419/1998، 311

(2) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ،250.

(3) د.شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب،السنن الإلهية في الحياة الإنسانية،19-21.

(4) يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن لفظة السنة اسم جامد غير مشتق، وأنه لم يرد في كلام العرب بمعنى وضع السنة،ثم يخلص إلى أن فعل "سن" مشتق من السنة اشتقاق الأفعال من الأسماء الجامدة، و هو اشتقاق نادر. ويستدل الشيخ بنعاشور على رأيه بأن

أصحاب المعاجم لا يصرحون بكون السنة مصدرا قياسيا لفعل سن ولا يأتون به عقب هذا الفعل.ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر–تونس–، 1984/96. 4،

(5) لسان العرب ، ابن منظور ، 223 ، الفيروز آبادي 220/3، القاموس المحيط، . 236/4

(6) لسان العرب، ابن منظور،.3/222

(7) الكليات أبو البقاء الكفوي، .497

(8)ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربةالحضارية،عبدالعزيزبرغوث،مجلةإسلاميةالمعرفة،13ع24م,2007/ه1428،صيف49.

(9) تاج العروس ، مرتضى الزبيدي ، 243/9.

(10)إرشاد الفحول ، محمد الشوكاني ، 32.

(11) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ،11/9.

(12) لسان العرب ، ابن منظور ، 222/3.

(13) ينظر لسان العرب ،ابن منظور، 220/9 ، 223/13.

(14)بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ، 236/4.

(15)الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن,

(16)الكافي ، 184/1 .

(17)بحار الانوار ، العلامة المجلسي ، 146/4.

(18)شرح نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد ، 90/13، 91.

(19)بحار الانوار ، العلامة المجلسي ، 15 /19 .

(20)تفسير القمي ، علي بن ابراهيم القمي ، 313/2 .

(21) لسان العرب ، ابن منظور ،222/3 ،

(22) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، 11/9.

(23) ينظر :الكليات ،ابو بقاء الكفوي ، 497 .

(24) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ،492/1

(25) تفسير المنار ، المفسر السيد محمد رشيد رضا ، 1 / 41 ،

(26)المدرسة القرآنية ، المفكر الإسلامي السيد محمد باقر الصدر، 77.

(27) الموافقات ،3/221-226.

(28)نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن قراءة وفهما وتفسيرا،د.زيادخليل محمدالدغامين،مجلة المسلم المعاصر،107-108. ,ع80. محرم" 1417"هـ / مايو "1996"م،

(29)،سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، علي جمعة ، 12.

(30)سنن الله في المجتمع من خلال القرآن،محمد الصادق عرجون،48،ط1404،3ه..

(31)المدرسة القرآنية ، محمد الباقر الصدر ، دار التعارف ،43 ، ط2،بيروت–لبنان،1401ه.

(32)منهج المعرفة في القرآن الكريم، يوسف كمال ،91 .

(33)تأملات في السنن الكونية ، محمود زايد المصري ،مجلة المسلم المعاصر ، س20 ،ص 80 ،1407ه.

(34)تفسير المراغي، أحمدمصطفى المراغي، 76/2.

(35)مفهوم السنن الالهية ، حازم زكريا محي الدين ،31.

(36)مبادئ الإسلام،98، طبع الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية.

(37) في ظلال القرآن ، سيد قطب ،479/1، ط16، دار الشروق_القاهرة_مصر.

(38) المدرسة القرآنية ،44 .

(39)حديث الاحاديث ،الدكتور علي فهمي خشيم ،420.

(40)السنن الإلهية في الحياة الإنسانية ، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب ، 5.

(41)مفهوم السنن الربانية ، رمضان خميس زكي ، 25.

(42)خطاب الكلمة في القرآن، سمير سلمان ، منظمة الاعلام الاسلامي ، طهران ،33، 1409هـ.
(43) المدرسة القرآنية ، محمدباقرالصدر ،49.
(44)أوليات في فقه السنن ، محمد محفوظ ، 17.
(45)ينظر: رشيد رضا ، 4 / 140 .
(46)أضواء قرآنية على ظواهر كونية ، محمد سعيد مولاي ، 21، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ط1.
(47)تفسير المراغي ، احمد مصطفى المراغي ، 76/2.
(48)في ظلال القرآن ، سيد قطب ، 114/1.
(49)حجة الله البالغة ، ولي الله الدهلوي ، بيروت _لبنان ، 35/1، بيروت _لبنان ، ط1 ، دار الكتب العلمية.
(50)لسان العرب،جمال الدين بن منظورالأنصاري، 441/9.
(51)صحيح مسلم بشرح النووي،كتاب الامارة، محي الدين أبوزكرياالدمشقي،ح4927،باب لاتزال طائفة من أمتي الظاهرين على الحق.
(52)تفسير المنار،محمد رشيدرضا،317/2.
(53) ينظر: في ظلال القرآن،سيدقطب،222/1.
(54) قصة الاختلاف دراسة سننية، 39.
(55) نهج البلاغة ،3/ 345 .
(56) حركة التاريخ في القرآن، عامر الكفيشي، 230.
(57) بحار الأنوار,العلامة المجلسي,٣٢٩/٤٤.
(58)فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، صائب عبدالحميد،592.
(59)حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع،125.
(60)تأملات في السنن الكونية،محمودزايدالمصري،9.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. إرشاد الفحول ، محمد الشوكاني ، ت: سامي بن العربي، ط: 2000م/ 1421هـ.
2. أضواء قرآنية على ظواهر كونية ، محمد سعيد مولاي ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان،ط: أولى.
3. بحار الانوار، العلامة المجلسي ، وزارة الارشاد الإسلامي.
4. تاج العروس ، مرتضى الزبيدي، مطبعة الكويت، 1984.
5. تأملات في السنن الكونية ، محمود زايد المصري ،مجلة المسلم المعاصر ،1407هـ.
6. التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني، دار الفضيلة.
7. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط: الأولى، 1964م.
8. حجة الله البالغة،ولي الله الدهلوي، بيروت–لبنان ، 35/1، بيروت _لبنان ، ط1 ، دار الكتب العلمية.
9. حسن سلمان، دراسات قرآنية حول الإنسان والمجتمع، دار الفكر – بيروت، 2003م.
10. خطاب الكلمة في القرآن، سمير سلمان ، منظمة الاعلام الاسلامي ، طهران ، 1409هـ.
11. د.شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب،السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، جامعة أم القرى، 1407هـ.
12. الزمخشري: أساس البلاغة،دار الكتب العلمية بيروت، ط ،1998م/1419هـ.
13. سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، علي جمعة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998م.
14. سنن الله في المجتمع من خلال القرآن،محمد الصادق عرجون.
15. شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، دار الأمير للنشر – بيروت، 1428هـ/ 2007م.

16. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الامارة، محي الدين أبوزكريا الدمشقي،ح4927، باب لاتزال طائفة من أمتي الظاهرين على الحق.
17. فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، صائب عبدالحميد، دار الهادي، 2007م.
18. في ظلال القرآن ، سيد قطب، ط: 16، دار الشروق_القاهرة_مصر.
19. الكليات أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، 1998م.
20. لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف.
21. مبادئ الإسلام، طبعة: الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية.
22. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر–تونس، 1984.
23. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ، المكتبة الإسلامية – طهران، الطبعة: الثالثة.
24. المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر، دار التعارف – بيروت، 1401هـ.
25. مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، دار الفكر، 1981م/ 1401هـ.
26. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، 2009م.
27. مفهوم السنن الربانية ، رمضان خميس زكي.
28. ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، عبد العزيز برغوث، مجلة إسلامية المعرفة، 2007/1428هـ ، صيف49.

Sources and references:

The Holy Quran.

1. Irshad Al-Foul, Muhammad Al-Shawkani, T: Sami bin Al-Arabi, i: 2000AD / 1421 AH.
2. Quranic Lights on Cosmic Phenomena, Muhammad Said Moulay, Dar Ibn Hazm, Beirut - Lebanon, i: First.
3. Bihar Al-Anwar, Allama Al-Majlisi, Ministry of Islamic Guidance.
4. The Crown of the Bride, Mortada Al-Zubaidi, Kuwait Press, 1984.
5. Reflections on the Universal Sunan, Mahmoud Zayed Al-Masry, Journal of the Contemporary Muslim, 1407 AH.
6. Definitions, Ali bin Muhammad Al-Jarjani, Dar Al-Fadilah.
7. Tafsir Al-Maraghi, Ahmed Mustafa Al-Maraghi, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and his sons, I: First, 1964 AD.
8. Hujjat Allah Al-Bagheh, Wali Allah Al-Dahlawy, Beirut - Lebanon, 1/35, Beirut - Lebanon, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
9. Hassan Salman, Quranic Studies on Man and Society, Dar Al-Fikr - Beirut, 2003 AD.
10. Discourse of the Word in the Qur'an, Samir Salman, Islamic Media Organization, Tehran, 1409 AH.
11. Dr. Sharif Sheikh Saleh Ahmed Al-Khatib, Divine Sunnahs in Human Life, Umm Al-Qura University, 1407 AH.
12. Al-Zamakhshari: The basis of rhetoric, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, I, 1998 AD / 1419 AH.
13. Sunan of the Qur'an in the Rise and Fall of Civilizations, Ali Gomaa, International Institute of Islamic Thought, 1998 AD.
14. The laws of God in society through the Qur'an, Muhammad Al-Sadiq Arjun.
15. Explanation of Nahj al-Balagha, Ibn Abi al-Hadid, Dar al-Amir Publishing - Beirut, 1428 AH / 2007 AD.

16. Sahih Muslim, with the explanation of an-Nawawi, Book of the Emirate, Muhyiddin Abu Zakaria al-Dimashqi, AH 4927, chapter A sect of my nation is still on the truth.
17. The Philosophy of History in Islamic Thought, Saeb Abdel Hamid, Dar Al-Hadi, 2007 AD.
18. In the Shadows of the Qur'an, Sayed Qutb, I: 16, Dar Al-Shorouk, Cairo, Egypt.
19. Colleges Abu Al-Baqa Al-Kafwi, Al-Resala Foundation, 1998 AD.
20. Lisan Al Arab, Ibn Manzur, House of Knowledge.
21. Principles of Islam, Edition: The Islamic Federation of Student Organizations.
22. Muhammad Al-Taher Ben Achour, Interpretation of Liberation and Enlightenment, Tunisian Publishing House - Tunis, 1984.
23. Muhammad ibn Ya`qub al-Kulayni, al-Kafi, Islamic Library - Tehran, third edition.
24. The Qur'anic School, Muhammad Baqir al-Sadr, Dar al-Tarifa - Beirut, 1401 AH.
25. Keys to the Unseen, The Great Interpretation, Fakhr Al-Din Al-Razi, Dar Al-Fikr, 1981 AD / 1401 AH.
26. Vocabulary in the Strange Qur'an, Al-Ragheb Al-Isfahani, Dar Al-Qalam, 2009 AD.
27. The concept of the divine Sunnahs, Ramadan Khamis Zaki.
28. Notes on the Study of the Divine Sunnahs in the Light of the Civilizational Approach, Abdul Aziz Barghout, Islamic Journal of Knowledge, 2007/H 1428, Summer49.